

الأداء الصوتي بين عناصر الجودة ومظاهر العيوب لدى المتعلمين المبتدئين

Phonological Performance: between elements of quality and manifestations of defects among novice learners

د. رشيدة بودالية*

جامعة البويرة، كلية الآداب واللغات، البويرة (10000)، الجزائر.

مخبر علوم اللسان والدراسات الأدبية والنقدية، كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة،

r.boudalia@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2024/09/21؛ تاريخ القبول: 2024/11/25؛ تاريخ النشر: 2024/12/22

ملخص:

الأداء الصوتي في ظهوره الأول ظاهرة صوتية من ظواهر تعلم القراءة القرآنية وأحكام التجويد، لينتقل حديثا إلى علم الأصوات؛ يستعان به في تعليم كيفية قراءة الحروف، والكلمات، والجمل صوتيا، ويعرف الأداء الصوتي اليوم بين المتعلمين ضعفا ملحوظا من أسبابه؛ انعدام الجانب المعرفي للأداء الصوتي، ولامبالاة المعلمين بالجانب السليم لنطق المتعلمين، وعدم اهتمامهم بتطبيق النطق أثناء تعليمهم مهارة الكلام، وتأثر المتعلم قبل مرحلة المدرسة باللغة العامية تأثرا شديدا، تجعله يمارسها أثناء القراءة والمحادثة في مرحلة التعلم.

يهدف البحث إلى اكتشاف الأداء الصوتي لدى المتعلمين المبتدئين خاصة، والوقوف على مظاهر عيوب النطق لديهم، وتقديم الحلول التي تمكن من الأداء الصوتي الصحيح، وبيان دور المؤسسات التربوية والمدارس القرآنية في تقويم الأداء الصوتي.

كلمات مفتاحية: الأداء الصوتي؛ الأصالة؛ واقع الممارسة؛ المتعلمون.

Abstract:

Phonological performance, initially emerging as a phenomenon within the realm of Quranic reading and Tajweed rules, has recently

transitioned into the domain of phonetics. It is utilized in teaching the articulation of letters, words, and sentences. The current phonological performance among learners is notably deficient for several reasons: the absence of the cognitive aspect in phonological performance, educators' indifference towards the proper pronunciation of learners, their lack of emphasis on pronunciation application during teaching speaking skills, and the significant influence of colloquial language on learners before school age, leading them to practice colloquial language during reading and conversation in the learning phase.

This research aims to explore the phonological performance of novice learners in particular, identify aspects of pronunciation defects, propose solutions to achieve proper phonological performance, and elucidate the role of educational institutions and Quranic schools in evaluating phonological performance.

Keywords: Phonological performance; elements of quality; manifestations of defects; Learner.

مقدمة

وقف العرب قديماً وحديثاً على الاعتناء باللغة العربية، وأعطوها اهتماماً منقطع النظير، وغايته في ذلك الحفاظ على لغة القرآن الكريم من اللحن واللبس، وقد عُرف العرب قديماً بصفاء سليقة العربية، وابتعادهم عن اللحن، وبعد انتشار الإسلام في الكثير من أرجاء المعمورة، واختلاطهم بغيرهم من الأقوام غير الناطقين بالعربية؛ بدأت مظاهر اللحن تتسرب إلى اللغة العربية، وهو ما دفع بالعلماء إلى التنبيه إلى خطر اللحن.

ما زال العلماء إلى يومنا هذا واقفين بكل ما يملكون من جهد فكري ولغوي إلى الدعوة إلى ضرورة أداء اللغة العربية أداء صحيحاً سليماً سواء للناطقين بها أو بغيرها، انطلاقاً من فكرة ابن جني أن أصل اللغات كلها إنما الصوت المسموع، مما يوجب ضرورة تعلم اللغة العربية بدءاً من الأصوات.

ولا أدل على ما قام به علماؤنا الأوائل بإعطاء الموضوع اهتماماً بالغاً، فألف "الخليل" معجمه "العين"، وبناه بناءً صوتياً، وخصّص "سيبويه" فصلاً كاملاً في "كتابته" النحوي دراسة عن الأصوات، وألف "ابن جني" "سر صناعة الإعراب" كتاباً متخصصاً مستقلاً في الأصوات.

ونجد في العصر الحديث الآلاف من الكتب خاصة بالدراسة الصوتية، بكل ما تحمله من ظواهر وأنواع وتحليلات، لإدراكهم أنّ الأصوات من أهم عناصر نظام اللغة العربية، وأنّ الاهتمام بها هو اهتمام باللغة، وما لها من دور في حياتنا اليومية، والتي بها يتمّ التفاعل والتواصل وتبادل الأفكار، وتفاهم الأفراد والمجتمعات، كما ورد عن ابن جني "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

أمام هذه الأهمية البالغة لأصوات اللغة العربية، وضرورة أدائها صحيحاً؛ تسعى هذه الورقة البحثية إلى معرفة نظام اللغة العربية الصوتي، وضرورة استيعابه؛ لمن أراد تعلّم العربية، لأنّ اللغة والأصوات وجهان لعملة واحدة، لا يمكن فصل الواحد عن الآخر، أيّ يرتبط تعليم اللغة العربية بتعلّم الأصوات ومهارة أداء الكلام ارتباطاً وثيقاً، من خلال نشاطات تربوية يقوم بها المعلم مع المتعلمين، مثل: الحوار والمحادثة والقراءة.

انطلق البحث من تساؤل مفاده: ما هي الأسباب التي أدت إلى ضعف الأداء الصوتي، أو إهماله في تعليم اللغة العربية؟ كيف السبيل إلى تحقيق الأداء الصوتي السليم للمتعلّمين منذ المراحل الأولى للتعليم؟

فرضت طبيعة البحث انتهاج المنهج الوصفي المصحوب بالية التحليل: وصف ظاهرة الأداء الصوتي، وتحليلها من خلال معرفة العناصر الصوتية التي يهملها المتعلّمون أثناء النطق، والإشادة بالسبيل المساعدة على تجاوز مظاهر العيوب في الأداء الصوتي.

العنوان الرئيسي الأول: مفهوم الأداء الصوتي

يمكن الوقوف على معنى الأداء لغة واصطلاحاً لمعرفة كيفية أداء هذه العملية الصوتية، دون خلل في القيام بها، أو خطأ في نطقها.

العنوان الفرعي الأول: الأداء لغة

عرّفه أبو البقاء اللغوي بقوله: «هو في عرف أهل الشّرع عبارة عن تسليم عين الواجب في الوقت»⁽¹⁾ ومعناه في معجم المصطلحات الفقهية «إتيان العمل المكلف به في

(1) - الحسيني: أبو البقاء أيوب بن موسى اللغوي، الكلّيات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: د. عدنان درويش، محمد المصري، د ط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 1419 هـ - 1998 م، ص: 66.

الوقت لا في خارجه، أدّى الشيء: أوصله، الإتيان بالشيء لميقاته، وقال الراغب: الأداء لغة: دفع الحق، وما يؤدّيه الإنسان على الوجه الذي أمر به، والأداء عند علماء القراءات: التلاوة.⁽¹⁾ وفي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: 178].

عرّف معجم الوسيط الفعل "أدّى" بمعنى «وفّى، مشى مشياً ليس بالسرّيع، ولا بالبطيء، واللّبن: خثر، وأدّى النّبيّ: قام به، والدّين: قضاه، والشّهادة: أدلى بها، وأدّى إليه: أوصل الشّيء إليه. والأداء: التّأدية: التّلاوة، والتّأديّ: القضاء والتّوصّل، والأمر: تيسّر وتهيأ». ⁽²⁾ بنظرة فاحصة دقيقة لكلمة "الأداء"؛ نجد أنها تتقاطع من حيث المعنى عند نقطة واحدة أساسية، وهي: القيام بالشيء في وقته دون بطء أو إسراع، والوفاء به في سر وهياة طبيعية، وربّما لهذا السّبب تمّ اختيارها كمصطلح صوتي؛ ليؤدّي الغرض من النّطق السّليم للأصوات العربيّة اللّغويّة في الدّرس الصوتي.

العنوان الفرعي الثاني: الأداء اصطلاحاً

ارتبط مصطلح الأداء في أوّل ظهوره بعلم القراءات والتّجويد، وانتقل إلى علم الأصوات الذي يعني كفيّة قراءة الحروف أو الكلمات أو الجمل صوتيّاً، وفق ما يدعو إليه النّظام الصوتي في الدّرس الصوتي، أمّا مفهوم الأداء القرآني في علم القراءات فهو «علم بكفيّة أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً إلى ناقله، ويعني قراءة الكلمات باللفظ المؤدّي للمعنى المطلوب، حسب ما تقتضيه الآية، وما تشتمله من معنى، وتصوير لفظي للمعنى، ويشترك فيه اللّسان والعقل والقلب، فحظّ اللّسان تصحيح الحروف، وحظّ العقل الوعي والتّفسير، وحظّ القلب الاتّعاظ والتّدبر». ⁽³⁾ فالملاحظ أنّ الأداء القرآني علم يعلم كفيّة نطق آيات القرآن الكريم، بأدائها أداء سليماً، وينطبق ذلك على تعليم اللّغة العربيّة، بتعليم أصواتها المفردة (الحروف الألفبائية)، ونطقها وفق الطّريقة الوصفية التي أشارت

(1) - محمود عبد الرّحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، د ط، دار الفضيلة، القاهرة، د ت، ص: 113- 114 - 115.

(2) - إبراهيم أنيس وآخرون، معجم الوسيط، ط 4، مجمع اللّغة العربيّة، مكتبة الشّروق الدّولية، القاهرة، 2008م، ص: 10.

(3) - زيدان سلامة العقرباوي، أساليب التّعليم عند القراء والمقرئين، د ط، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، الأردن، د ت، ص: 63.

إليها كتب الأصوات، ويتعلّق أيضا بكيفية أداء مقاطع الأصوات صحيحا قويا، ونبر الكلمة، وتنغيم الجملة المناسبين، وإعطاء الظواهر الفونولوجية حقها.

والأداء فنّ من أتقنه؛ تمكّن من التأثير على المستمع خاصة في مواقف الإلقاء كاللقاء الخطب، أو الشّعر، وهو «يعني المهارة الفنيّة في استغلال الصّوت بما يخدم الإنسان في تعامله واتّصاله بالآخرين، في شكل جميل وممتع ومثير»⁽¹⁾ وهي الغاية من تعليم وتعلّم الأداء، وتمكّنه من فنّه.

العنوان الرئيسيّ الثّاني: أهميّة الأداء الصّوتيّ

أُطلق على مصطلح الأداء الصّوتيّ تسميّات عديدة، منها: «علم التّجويد، فنّ القراءة، علم تلاوة القرآن، علم التّلقين، وصف القراءة، وتسميّة الأداء مستنبطة من قول ابن الجزريّ عن مطرف بن عبد الرحمن: "وله كتاب حسن في الأداء"»⁽²⁾ وبالعودة إلى مفاهيم التّسميّات الستة (التّجويد - الأداء - القراءة - التّلاوة - التّلقين - وصف القراءة)، نجدها تشترك في أمور عديدة، أهمّها:

- إحكام النّطق بكلّ صوت/ حرف على حده، ثمّ إحكامه في حالة تركيبه؛
- الإتيان بالحروف والألفاظ بدرجات مقدّرة من السّرعة أو البطء؛
- المشافهة نقلا عن المشايخ؛
- القراءة الصّحيحة السّليمة؛
- النّطق الحسن المجوّد المتقن للقرآن الكريم؛
- تعبّر هذه الفنون عن العمل الصّوتيّ للقرآن الكريم.

تندرج أهميّة الأداء الصّوتيّ في علم الأصوات باستخدامه كمصطلح يهدف إلى «دراسة أصوات اللّغة من كلّ جوانبها، وإلى تقنين أدائها وفق النّظام العامّ الذي تؤدّي به اللّغة

(1) - رشاد محمّد سالم، الأداء الصّوتيّ في العربيّة، مجلّة جامعة الشّارقة للعلوم الشّريّة والإنسانيّة، المجلّد 2، العدد 2، الشّارقة، يونيو 2005م، ص: 214.

(2) - أحمد محمود عبد السّميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فنّ الأداء وعلم القراءات، ط1، منشورات محمد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1422هـ - 2001م، ص: 16.

العربية الفصحى وفق النّوق العربيّ السّليم، وذلك حتّى يتحقّق للعربية سلامتها من اللّحن والخطأ، فعبر عن المعنى تعبيراً دقيقاً غير منقوص.⁽¹⁾ وتتجلّى أهمّيّته - أيضاً - في معرفة ما يشتمل عليه من المتغيّرات الصوتيّة، الّتي تنشأ عنها الظّواهر الصوتيّة المتنوّعة.

يُقصدُ بالظّواهر الصوتيّة «التّغيّرات الصوتيّة في الأداء أثناء القراءة؛ فتتأثّر الأصوات اللّغويّة بعضها في بعض أثناء الأداء، نتيجة ميل الإنسان بطبيعته إلى التيسير والتّسهيل، لاختصار الجهد العضليّ الّذي يبذله حين النّطق، فيلجأ إلى تغيير بعض الأصوات بأصوات أخرى، أيسر في النّطق، وأكثر تألقاً مع الأصوات المتجاورة لها، ليحصل الانسجام الصوتيّ أثناء الأداء»،⁽²⁾ وبذلك يسان اللّسان عن الخطأ، أثناء النّطق، ويبلغ غايته في إتقان اللفظ وتجيده.

إنّ الاهتمام بالجانب الصوتيّ في المرحلة الابتدائيّة أمر ضروريّ، فهي مرحلة يسهل فيها على المتعلّمين تعليم الأداء الصوتيّ، ونظام الأصوات اللّغويّة دون صعوبات، خاصّة مع متعلّمين لا يعانون من مشاكل في النّطق (عيوب النّطق، مثل: "الحذف، الإبدال" - اضطرابات الكلام، مثل: "التلعثم، التأتأة")، فالمرحلة حسّاسة تمكّن من بناء قاعدة لغويّة؛ أساسها الكفاية اللّغويّة الّتي تبدأ بالأصوات، وتتواصل مع المعرفة اللّغويّة كالصّرف والتّحو...

العنوان الرئيسيّ الثالث: سبل تحقيق الأداء الصوتيّ

السّبل الواضحة والطّرائق الصّحيحة الّتي يجب على المتعلّمين اتّباعها في الأداء الصوتيّ، لتتحقّق فعليّاً لدى المتعلّمين المبتدئين؛ هي:

العنوان الفرعيّ الأوّل: استخدام طريقة التّلقّي والسّماع

التّلقّي وهو استقبال العلم من معلّمه، والأصوات اللّغويّة علم يتطلّب تعلّمه بالكيفيّة الصّحيحة، حتّى ينطق المتعلّم الأصوات والكلمات والتّراكيب كما تلقّاها على أصولها، تحرّياً للنّطق السّليم، وبالتّعوّد على سماعها، فإنّه سيجعل أذنه حسّاسة، وذوقه حسناً. تتطلّب معرفة أحكام الأداء الصوتيّ مراعاة المشافهة بالتّلقّي والسّماع بين المتعلّم والمتعلّم، وهو إجراء يسهّل - أيضاً - تعلّم القرآن الكريم أداء صحيحاً كما تلقّاه المسلمون

(1) - رشاد محمّد سالم، الأداء الصوتيّ في العربية، ص: 209.

(2) - أحمد عثمان فضيل حسن، المستوى اللّغويّ للأداء الصوتيّ في القراءات القرآنيّة، المجلّة العربيّة مداد، المؤسّسة العربيّة للتّربيّة والعلوم والآداب، مصر، المجلّد الخامس، العدد 15، أكتوبر 2021م، ص: 14.

عن النبي ﷺ يقول الدِّمِياطِيّ في تعريف المقرئ: «من علم بها أداء، ورواها مشافهة (...)» لأنَّ في القراءة أشياء لا تحكم إلَّا بالسَّماع والمشافهة (...) ولأنَّ المقصود هنا كَيْفِيَّةُ الأداء.⁽¹⁾

يمثّل منهج التَّلْقِي والسَّماع أساس الدّرس اللّغويّ عند العلماء القدماء، فقد جمعوا اللّغة بالسَّماع، واستقرأوها عن طريق الرّواية والمشافهة، «واعتبروا السَّماع والاستقراء أصليين من أصول البحث اللّغويّ، ومنهجيّ علم القراءات في التَّلْقِي والعرض، وكذلك تخصيصهم كتباً تعالج التّصحيف والتّحريف من حيث هي أخطاء ناجمة عن الكتابة».⁽²⁾

ما تقدّم الحديث عنه من كَيْفِيَّة التَّلْقِي، وطريقة السَّماع؛ هو الأصل في تعليم المبتدئين كَيْفِيَّة الأداء، بدءاً من الصّوت المفرد للحروف، وانتهاء بالأداء القرآنيّ لكتاب الله - عزّ وجلّ - كيف لا؟ والميزة الأهمّ في أداء القرآن الكريم؛ هو حسن التّلاوة تأسيّاً بقوله ﷺ «جَوِّدُوا الْقُرْآنَ وَزَيِّنُوهُ بِأَحْسَنِ الْأَصْوَاتِ».⁽³⁾ والذي يعني «الإلتزام بالنّطق الصّحيح، ومراعاة قواعد التّلاوة من مدّ، ووقف، ونبر، وإيقاع، وتنغيم؛ لأنّ ذلك من حسن التّلاوة الذي يزيّن القرآن الكريم، ويبرز دور هذه الظّواهر الصّوتية في أداء معانيه».⁽⁴⁾ فيشدّ إليه الألباب، ويسحر العقول.

إنّ اتّباع المعلّم طريقة تحسين الصّوت بالقراءة من خلال تلاوة القرآن الكريم مع المتعلّمين؛ مفاده تحسين الصّوت وتزيينه، وهو أمر مستحبّ ولو بالألحان العربيّة المعروفة، بشرط مراعاة آداب الأداء القرآنيّ، وملاحظة الأحكام المنصوص عليها في علم التّجويد، وعدم الإخلال بأيّ حكم من أحكام القراءة القرآنيّة المنصوص عليها في كتب القراءات وكتب التّجويد، وهي بدورها ارتكزت في ضبط قواعدها على ما تواتر عن الرّسول ﷺ والصّحابة رضوان الله عليهم.

(1) - أحمد بن محمّد البنّا، إنحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسنّية منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات، تحقيق: د. شعيبان محمّد إسماعيل، ط1، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليّات الأزهرية، القاهرة، 1407هـ - 1987م، ج1، ص: 67 - 68.

(2) - رشاد محمّد سالم، الأداء الصّوتيّ في العربيّة، ص: 112، بتصرّف.

(3) - جلال الدّين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: الشّيخ شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، ط1، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1469هـ - 2008م، ص: 237.

(4) - رشاد محمّد سالم، الأداء الصّوتيّ في العربيّة، ص: 213.

العنوان الفرعي الثاني: التدريب على نطق الصوت

قيل: إنَّ العلم بالتعلّم، لذا وجب التدرّب الجادّ المنظّم، لاحتراف أساليب الأداء الصوتي، وإتقان مهاراته عملياً، قال خالد بن صفوان: «إنّما اللسان عضو إن مرّنته مرّن، فهو كاليد تُخشّها بالممارسة، وكالبدن تقوّيه برفع الحجارة...»⁽¹⁾ ويحصل التدريب على الأداء الصوتي بالمواصلة عليه قدراً كافياً حتّى يتقنه المتعلّم، بالإضافة إلى التطبيق الذاتي، أيّ أن يتدرّب المتعلّم على ما تعلّمه في الصّفّ مع معلّمه بنفسه في البيت مثلاً، ليصل إلى إتقان مهارة الأداء، وهذه الطّريقة بمثابة تثبيت لما تعلّمه، والتكرار يؤدّي إلى التّسيخ.

يحصل التدرّب على الأداء الصوتي برياضة اللسان على تصحيح الأصوات، وإخراجها من مخارجها، ويحتاج الأمر إلى رياضة عالية عندما يتعلّق الأمر بالأداء القرآنيّ خاصّة، «لأنّ بعض الحروف يشارك البعض الآخر في المخرج والصّفة، كما أنّ مجاورة الحروف لبعضها تؤدّي إلى تأثّر بعض الحروف ببعض، ولو لم تكن هذه الصّفة موجودة لدى القارئ لما استطاع أن يؤدّي الأداء السليم»⁽²⁾

يمثّل التدريب استراتيجيّة تطبيقية لتعليم الأصوات اللّغوية، «يوصل إلى الصّحة اللّغوية، التي تتحقّق بتقليد الأصوات وترديدها مرّة بعد مرّة في سياقات صوتيّة مختلفة، ويتمثّل أيضاً في ضرورة التّركيز على الأصوات والسيّاقات الصوتيّة التي تبدو صعبة أثناء التدريب»⁽³⁾ والمتعلّم في مراحل التّعليم يحتاج إلى اكتساب اللّغة، وإتقان أصواتها، وأدائها بتقليد محيطه، لذا يعتبر التدريب والتكرار سبيلان لاكتساب السلوك اللّغويّ.

العنوان الفرعي الثالث: ممارسة الأداء الصوتي

يمكن إتقان الأداء الصوتي للحروف العربيّة بالتعرّف عليها عن طريق "الدّوق"، كما فعل الخليل بن أحمد الفراهيديّ، وكان أسبق من ذاق الحروف ليتعرّف على مخارجها، «وإنّما كان ذوّاقه إياها أنّه كان يفتح فاهُ بالألف، ثمّ يظهر الحرف، نحو: أب، أث، أخ، أـ،

(1) - محمّد بن خالد آل جلعان، كتاب البيان في فنّ الإلقاء والمنظرة وإعداد المحاضرة، ط1، التراث الذّهبيّ، الرياض، مكتبة الإمام، الكويت، 1438هـ - 2018م، ص: 15.

(2) - رشاد محمّد سالم، الأداء الصوتي في العربيّة، ص: 225.

(3) - رانية أحمد عموري، صعوبات نطق الأصوات العربيّة عند متعلّمي العربيّة لغة ثانية - دراسة حالة -، مجلّة العمدة في اللّسانيّات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة، الجزائر، العدد الخامس، 2018م، ص: 130.

أع، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها، الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها، وهو الميم.⁽¹⁾ تمثل هذه المادة الأولى فائدة لغوية؛ وهي أن الخليل مبتدع طريقة قائمة على تحليل أصوات الكلمة، ومشاهدتها في طريقة إخراجها في حيز الفم.

ذاق الخليل الحروف، كتذوقنا الطعام من حيث الملوحة، والحموضة، والحلاوة، وغيرها، وأخذ ينظر في حروف اللغة العربية، ويفلّحها مفتوحة، ومضمومة، ومكسورة، واضعاً يده على حنجرته، أو شفتيه، بدءاً بفتح فاه بالألف، مثلاً: أ - أُ - أَب، وتقليبها بالحركات: "ح - حُ - ح" ، "ب - بُ - ب" ، فضبط أماكن خروجها، وهكذا مرّ على الحروف، ثم التفت إلى الصّفات، فصوت الباء - مثلاً - عند العرب هي باء، وليس P، والراء راء، وليس R، إلى أن قسّمها إلى مجموعتين: مجموعة لا يهتزّ فيها الوتران الصّوتيان، باعتبار صوتها الضّعيف، سمّاها: همسا، والمجموعة الثانية: يهتزّ فيها الوتران الصّوتيان، سمّاها: جهرا، وهي تسميّة وُفّق فيها القدامى أيّما توفيق، وما قام به الخليل عمل يحتاج منّا اليوم إلى التأمل، والرّصد، والتّعبير.

هكذا نطق العرب، وبنطقهم نُقلَ إلينا كتاب الله - عزّ وجلّ - جيلا بعد جيل، وتجلّى الأداء الصّوتيّ عن طريق الممارسة، فمّ ينطق، وأذن تسمع (فمّ المعلّم تنطق = وأذن المتعلّم تسمع)، وهي ممارسة متوارثة عن معلّم الأئمة الأكبر رسولنا الكريم ﷺ، عندما قرأ القرآن على الصّحابيّ الجليل أبيّ بن كعب - رضي الله عنه - والذي كان أقرأ الصّحابة للقرآن بشهادة النّبيّ ﷺ ونال بذلك المزيّة العظمى، وهي أنّ الله - عزّ وجلّ - سمّاه باسمه، وأمر النّبيّ ﷺ أن يقرأ عليه بعض القرآن، ف«عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: قال النّبيّ ﷺ لأبيّ: إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾، قال: وسَمّاني؟ قال: نعم. فبكي.»⁽²⁾

المراد من ذلك قراءة تعليم، فإنّ المعلّم إذا قرأ، والمتعلّم يسمعه، كان ذلك أشدّ

(1) - الفراهيديّ: أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السّامرائيّ، دار ومكتبة الهلال، د ط، د ت، ج 1، ص: 10.

(2) - البخاري: أبو عبد الله محمّد إسماعيل، صحيح البخاريّ، ط 1، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 1423م - 2002م، ص: 933.

اعتماداً عليه من أن يقرأ المتعلم، وكان فيه تعليم حسن الترتيب، والتأدية، وكيفية الترتيل، وسائر هيئات القراءة، ومن فائدة الحديث الشريف في الأداء الصوتي (القرآني)، أن يتصل السند من أبي بن كعب -رضي الله عنه- إلى رب العالمين، ولتستأن به الأمة، ويكون بذلك بعد النبي ﷺ إماماً في القراءة.

وتأتي في المقابل قراءة تعلم (فم المتعلم تنطق = وأذن المعلم تسمع)، فيما أن يقر المعلم بصحة ما نطق المتعلم، وإما أن يصحح، وهذه الممارسة (سنة) إسوة بسيد الخلق رسول الله ﷺ، ف«عن عبد الله بن مسعود قال: "قال لي النبي ﷺ اقرأ عليّ، قلت: يا رسول الله: اقرأ عليّ، وعليك أنزل؟ قال: نعم، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت على هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: حسبك الآن، فالتفتُ إليه، فإذا عيناه تذرفان.»⁽¹⁾ ولم يردّه في كلمة، وإنما قال له: حسبك، فهو ﷺ بذلك أجاز قراءة ابن مسعود.

تؤدي الممارسة إلى إتقان الأداء الصوتي بالقراءة الصحيحة السليمة، القائمة على إعطاء الأصوات والكلمات والجمل حقها ومستحقها من حيث المخارج والصفات، ومن حيث تحديد أنماط الجمل، ومن حيث التنويعات الصوتية.

العنوان الرئيسي الرابع: مظاهر العيوب والأخطاء أثناء أداء الأصوات اللغوية العربية

نقصد في حديثنا عن العيوب أثناء أداء الأصوات اللغوية العربية عند المتعلمين الأسوياء الذين لا يعانون من أمراض النطق الفيزيولوجية أو السيكلوجية أو الوراثة، فالحديث إذن يخص المتعلم الذي يملك كل القدرات التي تمكنه من التحدث بطلاقة، وصوت واضح، ولغة مفهومة، ولكن لسوء تكوين، أو ضعف في تعليم، أو عدم اهتمام به في المحيط؛ قد يؤدي إلى ظهور عيوب في أدائه، فيلاحظ عليه إخلال في الأصوات، ويخلو كلامه من الفصاحة والبيان، والأداء الصوتي الجيد ينتج لدى المتكلم بتوافر أمور عديدة، حددها الجاحظ بقوله: «إنّ البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة إحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق وتكميل الحروف، وإقامة الوزن،

(1) - المرجع نفسه، ص: 1288.

وإنّ حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، إنّ ذلك أكثر ما تستمال به القلوب، وتثني به الأعناق، وتزيّن به المعاني.»⁽¹⁾

قبل التعرّف على مظاهر الأخطاء في الأداء الصوّتيّ؛ نعرّج على أنواع الاضطرابات التي تظهر في اللّغة المنطوقة للمتعلمين، والتي يمكن لأخصائيّ في اللّغة أن يدركها بسهولة⁽²⁾:

- اضطرابات النطق: منها الحذف، والإبدال، والإضافة، والتشويه.
 - اضطرابات الصوت: كالهمس، والجهر، وانخفاض الصوت أو ارتفاعه، والبحّة الصوتيّة، والشدّة، والخنف.
 - اضطرابات الكلام: اللّغة، والتأتأة، والحبسة، وتأخر الكلام، والتقطّع، والمطّ، وتكرار الحروف، أو المقاطع، أو الكلمات، أو الجمل، بذل الجهد، أو التوتّر أثناء الحديث، والسّرعة في الكلام.
 - اضطرابات اللّغة: تأخر التّموّ اللّغويّ، وانعدام القدرة على فهم اللّغة (الحبسة الكلاميّة)، صعوبات فهم الكلمات، والجمل، والقراءة، والكتابة، والتّعبير.
- إذا ما تفتّن المحيط من أسرة أو مدرسة إلى هذه الاضطرابات في كلام الطّفل/ المتعلّم؛ وجب إخضاعه للفحص والعلاج خاصّة إذا كانت الحالة مبكرة، أيّ قبل تفاقم الوضع وتطوّره، لأنّها مشكلات يمكن أن يدركها خبير أمراض النطق واللّغة، ويجد لها العلاج باختبارات مناسبة لكلّ حالة مرضيّة.
- من مظاهر أخطاء الأداء الصوّتيّ، ما يلي:

العنوان الفرعيّ الأوّل: الخطأ في نطق الأصوات المفردة

ويعني ذلك عدم قدرة المتعلّم على ضبط مخارج الأصوات وصفاتها، وفقا لأماكنها الموافقة لها، ممّا يؤدّي إلى غموضها واختلاطها، ويكمن السّبب في عدم التّمرّن على نطقها نطقا سليما في محيطه الذي تربّى فيه، بحيث تلقّى الأصوات على أشخاص لا يولون

(1) - البيان والتّبيين، ج1، ص: 14.

(2) - قحطان أحمد الطّاهر، اضطرابات اللّغة والكلام، ط1، دار وائل للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، 2010م، ص: 145.

اهتماما بها، لهذا لا بدّ من إعطاء عناية بالجانب الصوتي، وتعليمها للمتعلّمين المبتدئين، لأنّ «الدراسة الصوتية للأصوات المفردة من حيث المخارج والصفات باعتبارها تخضع لقواعد معينة في تجاورها وارتباطاتها ومواقعها»⁽¹⁾ تساعد على معرفة الصّواب من الخطأ.

يمكن في هذا المقام الإشارة إلى ضياع العديد من الأصوات من لسان الطّفل/المتعلّم في الغرب الجزائريّ، تجده ينطق أصوات: الدّال – الضّاد- الطّاء (دالا)، وعندما يلتحق بالمدرسة؛ لا تصحّح له هذه الأصوات المذكورة، لأنّ معلّمه – أيضا- ينطقها بهذا الشّكل، وبالتالي تجد المجتمع كلّ ضاعت منه أصوات: الدّال – الضّاد- الطّاء، وضاع من لسانهم صوت (الثّاء)، الذي ينطقونه (تاء)، كما نجد ضياعا لصوت (القاف) في بعض المناطق من الغرب والشرق الجزائريّ، وكذا المشرق العربيّ؛ بحيث هناك من ينطقها همزة قطع (أ)، وهناك من ينطقها (كافا).

من الأخطاء التي يقع فيها المتعلّم أثناء أدائه للأصوات، عدم الانتباه إلى المخرج السّليم أو الصّفة الصّحيحة للحرف، فينطقه غير صحيح، «لأنّ اقتراب المخارج من بعضها يوقع البعض في الخلط بينها، فإذا اعتاد على هذا الخلط كان من الصّعب عليه أن يتلافاه في المستقبل»،⁽²⁾ من ذلك مثلا: نطق (القاف) (G)، وليس (قافا)، أو نطق (الفاء) (V) في كلمة: حفظتم ينطقها: ح7م، أو نطق (الجيم) (شينا) في كلمة مثل: اجتمعوا – استمعوا، أو نطق (الضّاد) (تاء) في كلمة (أفضتم - أفتم).

العنوان الفرعيّ الثّاني: الخطأ في أداء المقطع الصوتي

يؤدّي الخطأ في نطق الأصوات اللّغوية المفردة إلى الخطأ في أداء المقاطع الصوتية، لأنّ المقطع قد يتكوّن من صوتين أو مجموعة من الأصوات، وإذا صعب على المتعلّم أداء الصّوت المفرد الواحد صحيحا سليما، فإنّه يصعب عليه – أيضا- أداء المقاطع الصوتية صحيحة، ويمكن إدراك ذلك من خلال مفهوم المقطع الصوتي بأنّه «كتلة صوتية أو مجموعة أصوات تنطق مستقلة أو منفصلة عمّا قبلها وبعدها، وتنتج بضغطة واحدة، يمكن أن تسبق بصامت، أو تتبع بصامت، أو بحركة قصيرة، أو طويلة، وقد يأتي متبوعا

(1) - رمضان عبد التّواب، التّطوّر النّحويّ لّلغة العربيّة، د ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982م، ص: 16.

(2) - هاشم عبد السّلام الكفاوين، الأداء الصوتي وفنونه، ط1، معهد الجزيرة للإعلام، قطر، 2021م، ص: 52.

بصوت جامد أو اثنين، وتكون الحركة فيه قمة إسماع بالنسبة لغيره من الأصوات الأخرى التي يتكوّن منها المقطع»⁽¹⁾

لا يميّز المتعلّمون في أداء المقاطع بين المقاطع الممدودة وغير الممدودة، «إذ يلجؤون إلى قراءة الفتحة أو الضمة أو الكسرة ألفا ممدودة أو واوا أو ياء، أو العكس، والسبب في ذلك تعليم الطفل منذ الصغر الحروف محرّكة، ونطقها ممدودة بمعزل عن الكلمة»⁽²⁾ بالإضافة إلى إهمالهم نطق الحروف المشدّدة، وعدم التمييز في النطق بين "ال" الشمسيّة، و"ال" القمرية، وعدم معرفتهم وقوفهم على النّون الساكنة عند الإنهاء من الكلام نطقاً، أو أثناء أداء القراءة الجهرية، كلّ هذه الأخطاء يجد المتعلّم صعوبة في تفاديها، وصعوبة في تعلّم نطقها، نتيجة مشاكل في تعلّم النظام الصوتي الصحيح.

العنوان الفرعي الثالث: الخطأ في ضبط نطق الكلمات

من الطبيعي أن يؤثر الخطأ في نطق الأصوات المفردة، والخطأ في أداء المقاطع الصوتية على نطق الكلمة الواحدة، لأنّ الكلمة تتألف من مجموعة من الأصوات والمقاطع، فيكون التأثير واضحاً، والخطأ مضاعفاً، ولا يقتصر الخطأ في نطق الكلمة على الأصوات المركبة منها، وإنّما أيضاً الخطأ في «ضبط أواخر الكلمات وفقاً لمواقفها الإعرابية ممّا يؤدي إلى استبدال حركات بأخرى ممّا يؤدي إلى تغيير المعنى في كثير من الأحيان (...)، ويتمثّل السبب في عدم التمرّن على القراءة الجهرية»⁽³⁾.

العنوان الفرعي الرابع: الخطأ في أداء الجمل

يُقصد به الخطأ في أداء الجمل بالتلويّنات الصوتية التي تحملها، كالنّبر والتّنغيم والإيقاع والفواصل... فإهمالها ينتج كلاماً منطوقاً بوتيرة واحدة، لا يحمل معنى كالإخبار والتّقرير والاستفهام والتّعجب والنداء... وقد يعود السبب في هذا الأداء الخاطئ للجمل إلى إهمال المعلّم لها، والاكتفاء بما يتلقّظه المتعلّم من جمل خالية من الدلالات التي تكتسبها أثناء الأداء.

(1) - إنعام الحقّ غازي، ناصر محمود، المقطع الصوتي وأهميته في الكلام العربي، دراسة نظرية، مقال منشور في موقع الإنترنت، ص: 09.

(2) - محمّد صالح الشنطي، المهارات اللغوية -مدخل إلى خصائص اللغة العربية وفنونها، ط6، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، المملكة العربية السعودية، 1434هـ، ص: 188.

(3) - المرجع نفسه، ص: 189.

إنّ نطق الجمل في اللغة العربية يتخذ أشكالا تنغيمية متنوّعة، وذلك إحتراما للأغراض التي تهدف إليها، «فمن المعلوم أنّ للكلام أغراضا منها الإعلام والتّنبية، والوعد والتّنبّي، والوصف، والرّدود المتنوّعة، وليس طبيعياً، ولا سديدا أن تُلفظ موضوعات هذه الأغراض كلّها بتنغيم واحد»⁽¹⁾.

كما وقد ازدادت وتفاقت ظاهرة الخطأ في الأداء، والوقوف على التّبر غير الصّحيح - في عصرنا- بشكل ملفت للانتباه، ومؤلم للقلوب، ومحير للعقول، ومستّ المعلمين والمتعلّمين، ولا شكّ في وجود التّبر في اللغة العربية، وفي صور الكلام المختلفة قديما وحديثا، «وإذا كان متعلّم التّجويد لا يجد في الكتب التي يدرسها اليوم بيانا شافيا لقواعد التّبر؛ فإنّ ذلك غير مانع له من التّمكن من القراءة الصّحيحة بما فيها من نبر عن طريق التّلقّي الشّفهي من المعلّم المتقن، وسماع القراء المجيدين»⁽²⁾ لهذا كلّ نحن الآن بحاجة إلى تلك التّهضة التي كان يقوم بها الأوائل عندما يتعلّق الأمر بالقرآن الكريم والحفاظ عليه، وباللهجة العربية وسلامتها.

العنوان الفرعي الخامس: التّأثير باللّغات الأجنبية

هو ما اصطلاح عليه الجاحظ بالكنة، أي «في لسانه لكنة، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأوّل»⁽³⁾ وسببه تأثر المتعلّم بلغة أجنبية تعلّمها في وسطه الأسريّ، أو من خلال برامج تليفزيونية، أو تطبيقات إلكترونية.

العنوان الرئيسي الخامس: الدّرس الصوتي ودوره في تعليم أداء اللغة العربية

من المعلوم أنّ الدّرس الصوت اللّغوي مبني على معرفة مكّونات الجهاز الصوتي للإنسان، وهذه المعرفة تسهّل على المعلّم تبيان دور هذا الجهاز في الأداء، وتمكّنه من تدريب المتعلّم على كفيّة توظيف أعضاء الجهاز بحسب الأصوات الخارجة منه، ولأنّ

(1) - خير الدّين السّيب، الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تبانيّة، ط1، دار الكلم الطّيب، دمشق، 1428هـ - 2007م، ص: 179، بتصرف.

(2) - غانم قدوري الحمد، شرح المقدّمة الجزرية يجمع بين التّراث الصوتي العربي القديم والدّرس الصوتي الحديث، ط1، النّاشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، معهد الإمام الشّاطبي، جدّة، 1429هـ - 2008م، ص: 671.

(3) - الجاحظ: ابن عثمان عمرو بن بحر، البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت، ص: 40.

«جهاز النطق عند الإنسان في جملته وتفصيله لا يختلف من فرد إلى آخر، ما لم يكن به عيب خلقي، وإنما الفرق يرجع إلى طريقة توظيف هذا الجهاز واستغلاله، وأسلوب التوظيف وطريقة الاستغلال يؤديان حتما إلى فروق أدائية مميزة (...) والاختلاف في استخدام إمكانات الجهاز النطقي سبب رئيس في اتسام متعلم بجمال الأداء عن قرينه، مما يجذب له الأسماع وتتجاوب معه العقول.»⁽¹⁾

في هذه الحالة؛ فإن المطلوب من المعلم أن يحفز المتعلم المبتدئ إلى حسن استخدام الجهاز الصوتي، لأنه من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى إنتاج أداء سليم وجميل، وكما أشرنا سالفا أن أداء بعض المتعلمين ليس عضويًا، وإنما قد يكون اضطرابًا نفسيًا، أو عادة غير سليمة في استخدام الصوت، أو ما يتعلق بسوء استخدام الجهاز الصوتي، فيكون أدائه سريعًا مفرطًا في الكلام، أو مستوى غير عادي، أو مرتفعًا جدًا، أو «كلامًا مصحوبا بتوتر، وجميع ذلك يمكن أن يلحق الضرر بالحنجرة والأحبال الصوتية»⁽²⁾ لهذا فإن تدخل المعلم في توجيه المتعلم إلى حسن استغلال أعضاء جهازه الصوتي، وهو أمر يؤدي حتما إلى تصحيح الأداء الصوتي وجماله.

يقوم المعلم بتنمية قدرة الطفل على نطق بعض الأصوات والتعبير البسيطة، بالتدريب المستمر عليها، وتقليد صوت معلمه، وهي عملية تؤدي إلى إثراء حصيلة المتعلم اللغوية بالكلمات والجمل المعبر عنها لفظيًا، ثم باستخدامها في الاتصال بالآخرين، بهدف تنمية القدرة على النطق، مستخدما ما تعلمه مع الآخرين أثناء حديثهم، وبما أن تعلم اللغة يشبه الصناعة، واكتساب اللغة عن طريق التعلم مثل ما يتعلم الإنسان صناعة ما؛ وجب على المعلم اتباع أسلوب التكرار والممارسة مع المتعلم حتى يتقن أداءها، وهو ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته، إذ يقول: «والملكات لا تحصل بتكرار الأفعال؛ لأن الفعل يقع أولا، وتعود منه للذات صفة، ثم يتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة، أي: صفة راسخة.»⁽³⁾

(1) - ممدوح إبراهيم محمود محمد، جمال الأداء لآي الذكر الحكيم في ضوء علم الصوتيات، مجلة العلوم العربية، جامعة الأزهر، فرع أسيوط، العدد الأربعون، رجب 1437هـ، ص: 14.

(2) - المرجع نفسه، ص: 143.

(3) - ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، توزيع دار يعرب، دمشق، ط1، 1425هـ - 2004م، ج2، ص: 378.

يوجد في تراثنا العربيّ إشارات إلى كيفيةّ تصحيح الصوت لمن يرغب في استقامة أدائه ولفظه، من ذلك ما رواه الجاحظ أنّ «الحاجة إلى حسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة، رام أبو حذيفة إسقاط الرّاء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقته؛ فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه، ويناضله ويساجله، ويتأثّر لستره والراحة من هجنته، حتّى انتظم له ما حاول، واتّسق له أمّل»⁽¹⁾ بل ويزيد على ذلك أنّ المتعلّم يستقيم لسانه مع الإصرار في تعلّم أداء الأصوات، بتكليف النفس جهداً مضاعفاً ليتحقّق لها المراد، يقول: «إذا لم يكن المانع إلّا هذا العذر فلست أشكّ أنّك لو احتملت هذا التّكلف والتّبتّع شهراً واحداً أنّ لسانك كان يستقيم» «ويقال إنّ صاحبها لو جهد نفسه، وأحدّد لسانه، وتملّف مخرج الرّاء على حقّها والإفصاح بها، لم يك بعيداً من أن تجيبه الطّبيعة، ويؤثّر فيها ذلك التّعمّد أثراً حسناً»⁽²⁾

العنوان الرئيسيّ السادس: كيفيةّ اكتساب المتعلّمين الأداء الصوتي في

مراحل التّعليم الأولى

بما أنّ المتعلّم له القدرة على اكتساب الأداء، وتعلّم النطق السليم، فإنّ المدرسة تقوم بدور كبير في تعديل الأداء الصوتي لدى المبتدئين، وفق برامج سطرّها المنهاج المدرسيّ:

العنوان الفرعيّ الأوّل: القراءة الجهرية

هي نشاط من أنشطة اللّغة العربيّة وأهمّها في تعليم الأداء الصوتي، وهي عملية نطق الرّموز المكتوبة بتحويلها إلى أصوات منطوقة، ويؤدّي المتعلّم عملية القراءة كما سمعها من معلّمه، مقلداً إيّاه في الأداء الصّحيح، والنطق السليم دون أخطاء، ومع التّكرار والمداومة عليها سيصل إلى الإتقان، ولا يتحقّق ذلك إلّا بمراعاة مجموعة من الضّوابط، منها⁽³⁾:

- إطلاق جهاز الصوت، ومعرفة طبقات الصوت؛
- مراعاة مخارج الحروف من مخارجها الأصليّة، وضبط حركة خروج الحرف الّتي يؤدّي إلى ظهور الصوت السليم؛

(1) - البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص: 15.

(2) - المرجع نفسه، ص: 36.

(3) - عبد الرزاق حسين، مهارات الاتّصال اللّغويّ، ط1، النّاشر العبيكان، الرياض، 1431هـ - 2010م، ص: 119.

وما بعدها.

- ضبط الألفاظ الذي يحتاج إلى معرفة الحركات من فتح، وضم، وكسر، وتنوين، وسكون لأن عدم ضبطها شكلاً؛ سيتطرق التشويش إلى المعاني وإلى بنية الكلمة؛
- تحقيق السلامة اللغوية والأداء الواضح المعبر عن المعاني مع التوظيف الصوتي؛ يجعل القراءة تتسم بمعايير أهمها تجنب القارئ التردد والتلكؤ، كتبعض الجملة وتجزئها كلمة كلمة؛
- تسلسل الصوت والتطرق تسلسلاً طبيعياً؛
- إعطاء الكلام حقه من الوقف والتساؤل والتعجب وغيرها؛
- أن يكون التبر والتنغيم معبراً عن المعنى الموجود في النص المقروء.

العنوان الفرعي الثاني: نشاط التعبير الشفهي (المحادثة)

يمثل التعبير الشفهي نشاطاً تعليمياً أساسياً في تطوير الأداء الصوتي لدى المتعلمين؛ وأولته المناهج المدرسية اهتماماً كبيراً، لكي تجعل من المتعلمين المبتدئين أصحاب قدرة على الأداء السليم، ومراعاة فن الإلقاء من محاضرة، أو خطبة، أو حوار، أو محادثة في مستقبل حياتهم. ولا يحصل ذلك إلا باللغة، وورد عن السلف الصالح ضرورة تعلم اللغة من الدين، قال أبي كعب «تعلموا العربية كما تعلمون القرآن»⁽¹⁾ فتعلم اللغة العربية والتدريب على المحادثة يطور مهارة المتعلمين في التعبير عن أحاسيسهم وأفكارهم شفاهياً، وتطلق ألسنتهم، وبه يظهر الصوت، وكيفية الأداء من خلال مراعاة طبقات الصوت، «ولا يشعر المتحدث وهو يتحدث بتغير طبقات صوته، فيجد الحدة والشدّة التي تنتابه، ومخارج الحروف فيها ترقيق وتفخيم ينبيء بنوعية الحديث، وطبيعة الحديث من خلال الاستماع للأداء الصوتي، كالهمس والجهر»⁽²⁾

وقد أشار الجاحظ إلى الكيفية التي اتبناها أسلافنا، والتي يدرّبون بها الصبيان تحسين الصوت، وتجويده، وإخراجهم من الصمت الطويل، قال: «طول الصمت حبسة (...) وإذا

(1) - الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبي شيبة العبسي، المصنف لابن أبي شيبة، تحقيق: أبو محمد أسامة بن إبراهيم بن محمد، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1429هـ - 2008م، المجلد العاشر، ص: 08.

(2) - عبد الرزاق حسين، مهارات الاتصال اللغوي، ص: 140.

ترك الإنسان القول ماتت خواطره، وتبدلت نفسه، وفسد حسّه، وكانوا يرؤون صبيانهم الأرجاز، ويعلمونهم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت، وتحقيق الإعراب؛ لأنّ ذلك يفتق اللّهاء، ويفتح الجُرم، واللّسان إذا كثرت تقلبيه رِقّ ولان، وإذا أقللت تقلبيه، وأطلت إسكاته جساً وغلُظ.⁽¹⁾ يتبيّن من خلال قول الجاحظ أنّ للتحدّث فوائد أهمّها تكوين شخصيّة قويّة؛ تمكّن المتعلّم من مواجهة المواقف التي تحتاج منه إبداء الرّأي، أو تقديم حجة، أو طرح فكرة، والقدرة على التّعامل مع الآخرين دون خوف أو خجل.

العنوان الفرعي الثالث: الأداء القرآني

تروم المنظومة التّربويّة إلى تكوين متعلّمين متميّزين في الأداء الصوتي؛ بدءاً من المراحل الأولى من التّعليم، ويتحقّق ذلك على أرض الواقع بإدراج حصص للأداء القرآني ضمن برامج التّعليم اليوميّ، وذلك بتعليمهم قواعد التّرتيل، وأصول التّجويد للقرآن الكريم، وأحكام القراءات القرآنيّة، وهذا التّطبيق المهنيّ؛ يعلّم البيان، وفصاحة اللّسان، ونستدلّ على ذلك من خلال آيات بينات من الذّكر الحكيم، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [سورة الرحمن، الآيات من: 01 - 04] ﴿وَأُحِلُّ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [سورة طه، الآيات: 27 - 28] ﴿وَإِخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ﴾ [سورة القصص، الآية: 34].

إنّ تنشئة المتعلّمين على الأداء القرآني مرتّلاً؛ هو استجابة للأمر الإلهي: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [سورة المزمل، الآية: 04]. «والمراد بالتّرتيل تجويد الحروف والكلمات، وإتقان النّطق بها صحيحة، ومعرفة الوقوف عليها.»⁽²⁾ وهو الإجراء الأسلم لتمكينهم من فنّ الأداء الصوتي، ومهارة الإلقاء باستغلالهم الصوت بما يخدمهم في مجالات التّعامل والاتّصال، كما أنّه سبيل لأداء مختلف الظّواهر التّطريزيّة من نبر وتنغيم وتزمين وطول وإيقاع ووقف، بل وأكثر من ذلك فإنّ الأداء القرآني هو المجال الرّحب «لتكون هذه العناصر أكثر وضوحاً، إذ لا بدّ من تتابع خطّ الشّدة للأصوات، والمقاطع، والكلمات في الجملة، ومن تتابع النّغمة أو الدّرجة، ومن تتابع خطّ الكمّ الزّمنيّ، أو خطّ الطّول، ومن أنواع السّرعة التي تنطق بها الكلمات والجمل، ومن تتابع خطّ اللّون، ومن نظام الوقفات من حيث

(1) - البيان والتّبيين، ج1، ص: 272.

(2) - أحمد محمود عبد السّميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فنّ الأداء وعلم القراءات، ص: 18.

عددها وحجمها في الكلام ومن الإيقاع»⁽¹⁾

إنَّ ما أُشير إليه من ضرورة تعلُّم التَّرتيل هو من النَّاحِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ أَمْنٌ لِلْبَسِ، وعدم الوقوع في اللَّحْن، ومن نَاحِيَةِ القِراءات هو تطبيق لأركان القِراءات القرآنيَّة، ومن النَّاحِيَةِ الأدائيَّة هو اكتمال للتَّلاوة الشَّريفة الَّتِي توارثها الأُمَّة جيلا عن جيل إسنادا إلى رسولنا الكريم مُحَمَّدٍ ﷺ: «اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكِبائر فإنَّه سيُجزي من بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والتَّوَحُّ»⁽²⁾

يعمل الأداء القرآنيَّ على تهذيب الصَّوت، وفي مقدِّمته الاستخدام الأمثل للتَّنَفُّس والتَّحَكُّم فيه قدر المستطاع؛ لأنَّ قراءة القرآن لها خصوصيَّتها؛ فبعض الجمل القرآنيَّة تتطلَّب كميَّة كبيرة من الطَّاقة التَّنفسية للوصول إلى الأداء الصَّحيح من دون انقطاع⁽³⁾، ولأنَّ أهميَّة أداء الجملة وتعبيراتها؛ يُفترَضُ فيه اكتمال المعنى مع تواصل الصَّوت الأدائيَّ المناسب.

إنَّ حرص الرُّسول ﷺ على قراءة القرآن الكريم على أصحابه؛ الهدف منه تعلُّم دقائق الأداء القرآنيَّ كالوقف والتَّغَمُّم والتَّنْغِيم؛ وذلك لحماية النَّص القرآنيَّ من التَّغيُّر والتَّحريف واللَّحْن، «وهذا ما سجَّله أبو الليث السَّمرقنديّ في سياق حديثه من الحكمة من قراءة الرُّسول ﷺ على أبيّ بن كعب، وذلك بقوله: وأما الحكمة في أمره تعالى بالقراءة على أبيّ فهو أن يتعلَّم: أي ألفاظه وصيغته أدائيَّة، ومواضع الوقوف، وضبط التَّغَمُّم؛ فإنَّ نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشَّرع وقدره؛ بخلاف ما سواه من التَّغَمُّم المستعملة في غيره، ولكلِّ ضرب من التَّغَمُّم أثر مخصص في النَّفوس؛ فكانت القراءة ليعلمه لا ليتعلَّم منه»⁽⁴⁾ إنَّها طريقة

(1) - ممدوح إبراهيم محمود محمَّد، جمال الأداء لآي الذِّكر الحكيم في ضوء علم الصَّوتيات، ص: 90.

(2) - جلال الدِّين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: الشَّيخ شعيب الأرْنَؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، ط1، مؤسَّسة الرِّسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1469هـ - 2008م، ص: 227.

(3) - ينظر: د. سمير شريف إستيتيَّة، الأصوات اللُّغويَّة رؤية عضويَّة ونطقيَّة وفيزيائيَّة، ط1، دار وائل للنَّشر، عمَّان، 2003م، ص: 291.

(4) - أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد إبراهيم السَّمرقنديّ، بستان العارفين، ص: 319، نقلا عن: د. أحمد البايي، القضايا التَّطريزيَّة في القِراءات القرآنيَّة: دراسة لسانيَّة في الصَّوتات الإيقاعيَّة، ط1، عالم الكتب الحديث للنَّشر والتَّوزيع، إربد، الأردن، 2012م، ص: 178.

التلقي في تعلّم قراءة القرآن الكريم؛ أرادها خير الأنام لأصحابه وأتباعه من بعدهم بشكل شفهي، وكان بإمكانه أن يكتب ذلك كوصايا في صحيفة؛ لكنّه رأى أن يلقيها شفاهياً عليهم، فكانت أمان وأفضل طريقة لحفظ الأداء السليم للقرآن الكريم.

خاتمة

- الصوت اللغويّ هو حياة اللغة وبقاؤها، واللغة التي لا تُنطق لغة ميتة؛
- تعلّم الأداء الصوتي يرفع الذوق العربيّ السليم، ويحدّ من اللحن والخطأ؛
- الاهتمام بالصوت وأداؤه السليم؛ الغاية منه تلقي القرآن صوتياً، وخاصيّة المشافهة أثناء التلقي شرط اشتراطه العلماء المسلمون حفاظاً على سلامته ونقاوته؛
- الأداء القرآنيّ هو منهج علم القراءات، والتّجويد في تلقي القرآن الكريم؛ يساعد على تمثّل المعنى، ويظهر ما يحتويه من ظواهر صوتيّة يُتصوّر معناها من نطقها؛
- يتوقّف القرآن الكريم على تلك الميزة الصوتيّة المتمثّلة في حسن التلاوة.

المراجع

كبت بالعربيّة:

- إبراهيم أنيس وآخرون، معجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربيّة، مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة، 2008م.
- أحمد البايي، القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة: دراسة لسانیّة في الصّواتة الإيقاعيّة، ط1، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد، الأردن، 2012م.
- أحمد بن محمّد البنّا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشرة المسّعى منتهى الأمانى والمسرّات في علوم القراءات، تحقيق: شعبان محمّد إسماعيل، ط1، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكلّيّات الأزهرية، القاهرة، 1407هـ - 1987م.
- أحمد محمود عبد السّميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فنّ الأداء وعلم القراءات، ط1، منشورات محمد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1422هـ - 2001م.
- البخاريّ؛ أبو عبد الله محمّد إسماعيل، صحيح البخاريّ، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1423م - 2002م.

- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1469هـ - 2008م.
- الحسيي: أبو البقاء أيوب بن موسى اللغوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت: 1419هـ - 1998م.
- خير الدين السيبي، الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تباينية، ط1، دار الكلم الطيب، دمشق، 1428هـ - 2007م.
- زيدان سلامة العقرباوي، أساليب التعليم عند القراء والمقرئين، د ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الأردن، د ت.
- سمير شريف إستيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط1، دار وائل للنشر، عمان، 2003م.
- عبد الرزاق حسين، مهارات الاتصال اللغوي، ط1، الناشر العبيكان، الرياض، 1431هـ - 2010م.
- غانم قدوري الحمد، شرح المقدمة الجزرية يجمع بين التراث الصوتي العربي القديم والدّرس الصوتي الحديث، ط1، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، معهد الإمام الشاطبي، جدة، 1429هـ - 2008م.
- الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، بيروت، د ط، د ت.
- قحطان أحمد الظاهر، اضطرابات اللغة والكلام، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010م.
- محمد بن خالد آل جدعان، كتاب البيان في فنّ الإلقاء والمنظرة وإعداد المحاضرة، ط1، التراث الذهبي، الرياض، مكتب الإمام، الكويت، 1438هـ - 2018م.
- محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يتعلّمه، ط1، تحقيق: جمال نعمان ياسين، جمال محمد عبد الوهاب، 1441هـ - 2020م.
- محمد صالح الشنطي، المهارات اللغوية - مدخل إلى خصائص اللغة العربية وفنونها، ط6، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، المملكة العربية السعودية، 1434هـ.

- محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د ط، دار الفضيلة، القاهرة، د ت.
- هاشم عبد السلام الكفاوين، الأداء الصوتي وفنونه، ط1، معهد الجزيرة للإعلام، قطر، 2021م.
- وليّ الدّبن عبد الرحمن بن محمّد ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ط1، تحقيق: عبد الله محمّد الدّرويش، توزيع دار يعرب، دمشق، 1425هـ - 2004م.

المقالات:

- رشاد محمّد سالم، الأداء الصوتي في العربية، مجلّة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلّد 2، العدد 2، الشارقة، يونيو 2005م.
- ممدوح إبراهيم محمود محمّد، جمال الأداء لأيّ الذّكر الحكيم في ضوء علم الصّوتيات، مجلّة العلوم العربيّة، العدد الأربعون، جامعة الأزهر، فرع أسبوط، رجب 1437هـ.
- رانية أحمد عموري، صعوبات نطق الأصوات العربيّة عند متعلّمي العربيّة لغة ثانية - دراسة حالة -، مجلّة العمدة في اللّسانيّات وتحليل الخطاب، العدد الخامس، جامعة مسيلة، الجزائر، 2018م.
- أحمد عثمان فضيل حسن، المستوى اللّغويّ للأداء الصّوتيّ في القراءات القرآنيّة، المجلّة العربيّة مداد، المؤسّسة العربيّة للتّربية والعلوم والآداب، المجلّد الخامس، العدد 15، مصر، أكتوبر 2021م.